

سيرة الرسول

أولاً: مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا؛ من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه وسلم.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَفَّ تَقَاتِهِ ۚ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾^(١).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾^(٢).

أما بعد:

أيها الإخوة الكرام: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أتقدم بشكري الجزيل للقائمين على هذا المركز، الذين أتاحوا لي هذه الفرصة؛ من أجل اللقاء بأحبة كرام، في ليلة من الليالي المباركة إن شاء الله.

كما أتقدم بالشكر لكم -الذين حضرتم هذا اللقاء- وأسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل.

١ - سورة آل عمران آية : ١٠٢ .

٢ - سورة الأحزاب آية : ٧٠-٧١ .

أيها الأحباب، كما استمتعتم فعنوان هذا اللقاء أننا نعيش في هذه الليلة وفي هذه الأمسية مع السيرة العطرة، مع سيرة المصطفى ﷺ تهفو القلوب إلى سماع ذكر من تحب، وأغلى محبوب من البشر لكل مسلم هو المصطفى ﷺ فمن لم يكن كذلك؛ ففي إيمانه نقص أو شك. ما أحوجنا -أيها الأحباب- إلى قراءة سيرة المصطفى ﷺ ما أحوجنا دائما إلى أن نعيش في ظلال هذه السيرة! ما أحوجنا إلى أن نحفظ نصوصها، ونفقه معانيها، ونعمل بمدلولاتها!

إن من أخطر ما تواجهه الأمة الإسلامية في عصرنا الحاضر بعدها عن مصادر التلقي، أقولها بكل أسف وبكل مرارة: إن كثيرا من المسلمين بعيدون جدا عن فهم سيرة قائدهم، سيرة نبيهم ﷺ بل يزداد أسفي ويزاد ألمي عندما أجد كثيرا من الدعاة يجهلون سنة المصطفى ﷺ. إننا نكرر بألسنتنا كثيرا من الجمل والعبارات، ولكننا لا نحقق معانيها؛ مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، مقتضى أن محمدا رسول الله: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، و ألا يعبد الله إلا بما شرع.

كيف يتم ذلك إذا كنا نجهل هذه السيرة، إذا كنا لا نفقه كثيرا من مراحل حياته -صلى الله عليه وسلم؟ والله إنها لمرارة ولحسرة أنني أجد من يعرفون سيرة أفلاطون من المنتسبين إلى الإسلام! سيرة أفلاطون، وسيرة فرعون، بل وسيرة دارون ولينين- أكثر وأكثر وأكثر مما يفهمون من سيرة الرسول ﷺ وهم -مع ذلك- مسلمون!

كيف نخادع أنفسنا أيها الأحباب؟ كيف نقول: "إننا نحب الرسول -صلى الله عليه وسلم- ونحن لا نفهم، ولا نفقه هذه السيرة إلا لماما:

إن المحب لمن يحب مطيع

يقول الله - سبحانه وتعالى -: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ (١) كيف نتبع الرسول ﷺ ونحن نجعل هذه السيرة؟

ومن هنا، من هذا الجهل نشأ الضلال والانحراف في الأمة، وذهبت تتخبط في الشرق والغرب تبحث عن الهدى، والهدى بين يديها، تبحث عن مخرج لأزماتها، والمخرج في حوزتها، ولكن فرطوا وأهملوا.

أمر مؤسف، وأخص الدعوة، وأخص الشباب المنتسبين إلى الإسلام وإلى الدعوة الإسلامية- بأن واقعهم يحتاج إلى إعادة نظر، وبخاصة في فهم سيرة المصطفى ﷺ.

مقدمة لا بد منها -أيها الأحبة- لنستدرك أخطاءنا، ولنصحح أوضاعنا، ولنعود إلى أجدادنا؛ النور بين أيدينا، يقول الرسول ﷺ " تركتكم على المحجة البيضاء، لا يزيغ عنها إلا هالك " ويقول أحد الصحابة: " ما مات رسول الله ﷺ وطائر يقلب جناحيه في السماء، إلا أعطانا منه علماً، علّمه من علّمه، وجّهله من جهّله".

كان الصحابة -رضوان الله عليهم- أشد الناس حرصاً لفهم سيرة الرسول ﷺ اسمعوا هذه القصة الصحيحة التي رواها البخاري:

اشترى أبو بكر رضي الله عنه من عازب (أبي البراء) رحلاً بثلاثة عشر درهماً، فقال أبو بكر لعازب: "مروا البراء فليحمل علي رحلي" انظروا: أبو بكر يشتري هذا الرحل، ويطلب من عازب أن يأمر ابنه ليحمل هذا الرحل مع أبي بكر. انظروا ماذا قال عازب رضي الله عنه فقال عازب: "لا".

"لماذا لا؟"

"لا حتى تحدثنا كيف صنعت أنت ورسول الله ﷺ حينما خرجتما من مكة، والمشركون يطلبونكما"

اشترط؛ من أجل أن يأمر البراء، لم يشترط أن يزيد في الدراهم، لم يشترط عليه أن يزيد الثلاثة عشر درهمين، أو ثلاثة؛ مقابل الحمل، اشترط أن يقص عليه شيئاً من سيرة الرسول ﷺ

وبأمس الحاجة إليها -أيها الأحباب- كتب السيرة، بل وكتب السنة قبل ذلك، فيها كنوز ثمينة، فيها لآلئ وجواهر نحن بأمس الحاجة إليها في هذا العصر بالذات، ما رأيكم إذا رأيتم مريضاً يعيش بين المستشفيات المتقدمة والمتطورة، ويطلب الدواء في خارج بلده، من مستشفيات متأخرة متخلفة؟ يقال عنه: "مجنون!"